بحوث منح الماجستير والدكتوراه

قضية الوطن عند أحمد طوسون في قصة الطفل

أسماء مصطفى أحمد نور الدين (*)

***مقدمة:**

يعد من الضروري الاسهام في خلق الوعي السياسي لدى الأطفال بقيمة الوطن؛ لأن الأطفال هم بناة المستقبل القادم، لذا فالأدب القصصي أحد لَبِنات الغد المأمول.

***سبب اختيار الموضوع:**

الاسهام في خلق جيل لديه وعي سياسي بقيمة الوطن.

***هدف البحث:**

إلقاء الضوء حول دور الأديب أحمد طوسون الفعال في كتاباته القصصية للأبطال الصغار في خلق الوعي السياسي بقيمة الوطن.

***أهمية البحث:**

حينما نطلب من الأدباء الاسهام في تنمية وعي وعقول الأطفال عن طريق الأدب بأنواعه المختلفة، فعلينا نحن الباحثين تولي هذه الأعمال بالدراسة الأكاديمية لنرى ما فيها من إيجابيات وسلبيات؛ كي نحاول الوصول بالطفل لأفضل نتيجة من تلك الأعمال.

قضية حب الوطن ومعرفة حقوقه وواجباته علينا كما جاءت في قصص الأطفال عند الأديب أحمد طوسون:

وطن الإنسان هو بيته الكبير الذي يعيش فيه وبما أنّ الأطفال هم بُناة المستقبل لهذا الوطن، فيجب علينا أن نخبرهم عن قيمة هذا الوطن بشتى الطرق، وهذا ما فعله الكاتب أثناء كتابته لبعض قصصه .

ففي قصة دجاجات زينب جعل الكاتب طفلة مثلهم تخبرهم عن قيمة الوطن والدفاع عنه والوقوف في وجه أي خطر يهدد هذا الوطن.

(*) هذا البحث مستل من رسالة ماجستير من إعداد الباحثة، بعنوان: [قصص الأطفال عند أحمد طوسون دراسة موضوعية فنية]، تحت إشراف: أ.د. بهاء محمد محمد عثمان – كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. زياد محمد عبد العال جبالي- كلية الآداب – جامعة سوهاج.

ملخص أحداث القصة أنّ الطفلة زينب تعيش مع خالتها بعد أن احتل الأعداء قريتها وتهدَّم بيتها وتركها أبوها وذهب لينضم للفدائيين الذين يحاربون المحتلين لوطنها، وكانت تقضي وقتها في القراءة ورعاية حظيرة الدجاج التي توجد بمنزل خالتها رشيدة، وفي أثناء وجودها ببيت خالتها كانت ترى المحتلين وهم يداهمون المنازل بحثًا عن الفدائيين والأسلحة، وذات يوم دخل جنود المحتلين حظيرة الدجاج ببيت خالتها رشيدة التي تعيش معها زينب فحاولت منعهم من أخذ الدجاج لكنها لم تستطع فعلم أحد الفدائيين من خالتها بتصرفها وشجاعتها فطلب منها أن تساعده لكي يطرد المحتلين من أرضهم بأن تأخذ الدجاج لمعسكر المحتلين حتى تستطع إحصاء عددهم فأتمت مهمتها على أكمل وجه، ثم رأت بنفسها تفجير المعسكر الذي ساعدت الفدائيين في معرفة عدد جنوده حيث إنّ ذلك المعسكر كان من أكبر معسكرات الأعداء التي توجد على أرضها وهذا عمل ذو قيمة كبيرة لطفلة في مثل عمرها، وهذا الإحساس عندما يصل للطفل يجعله عالمًا بقيمة وطنه وخصوصا عندما يكون بطل القصة واحدًا منهم. ففي نهاية القصة يشير الكاتب إلى قيمة الأطفال في الحياة وأنهم إذا حاولوا استغلال مهاراتهم وذكائهم سيفيدون وطنهم وأسرهم بالتأكيد.

القيم التربوية التي أشارت إليها القصة عديدة ومنها:

١- استغلال أوقات الفراغ في عمل مفيد مثل: القراءة يقول الكاتب: ساردًا داخل أحداث القصة:

"كانت زينب تشعر بالحنين إلى مدرستها وأبيها وبيتها رغم ما تقوم به الخالة رشيدة من أجل راحتها وتقضي وقتها في قراءة القصص والمغامرات ورعاية حظيرة الدجاج ببيت الخالة رشيدة"([1]).

بطلة القصة هنا كانت تحاول استغلال وقت فراغها في القراءة والاطلاع بدلا من إهدار الوقت في أشياء لا طائل منها ولا فائدة، فالقراءة تنمي الذهن وتمد القارئ بالمعلومات المفيدة والمعرفة الغزيرة، وهذا ما سيلحظه الطفل في

١ - قصة دجاجات زينب، أحمد طوسون، دار شريف للنشر والتوزيع، ط ١ أكتوبر٢٠٠٧م، ص ٤.

أثناء قراءته للقصة عندما ستطلب زينب من الفدائي الذي قال لها إنه السندباد البحري، وكانت قد قرأت عن مغامراته داخل الكتب المساعدة في طرد المحتلين من أرضها.

٢- عدم الغرور بالقوة لأنّ القوة وحدها لا تكفي، والذى يعتمد على القوة سيكون متهورا وطائشا وأحمق كما جاء على لسان زينب أثناء وقوفها في وجه جنود المحتلين عندما أرادوا أخذ الدجاج من بيت خالتها بالقوة حيث ردت عليهم: "ازداد غضب زينب من سخرية المحتلين منها وقالت: أتسخرون مني لأنني لا أملك سلاحًا مثلكم؟! لا تغتروا بقوتكم فالقوة وحدها طيش وتهور"([٢]).

ويبدو أنّ الفكرة مستوحاة من القرآن الكريم حيث يقول المولى عز وجل: في سورة التوبة "لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِين"([٣]).

وهنا جاءت الآية الكريمة موضحة عاقبة الغرور، وهي الفشل والخسارة المحتومة ففي أثناء غزوة حنين تفاخر المسلمون بكثرة عددهم، وقالو لن نُهزم من قلة ونسوا أنهم في غزوة بدر رَبِحُوا المعركة بالرغم من قلة عددهم فالتوفيق لا يكون بكثرة العدد أو قلته؛ بل يكون بإرادة الله سبحانه وتعالى وبالتأني في العمل وبالتواضع، وقد قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»([٤]).

ويجب علينا جميعا غرس هذه القيم في نفوس الصغار الذين هم صغار اليوم وكبار المستقبل وبُنَاتِه. إنّ قصة الطفل بما تحتوي عليه من معلومات وخبرات وتجارب هي التي تساعد في غرس القيم النبيلة في نفوس هؤلاء الصغار.

٢- المصدر السابق نفسه، ص٧.

٣ - سورة التوبة: الآية ٢٥.

٤ - صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ص٦٣.

٣- الجرأة والشجاعة وعدم الخوف والثقة بالنفس من قِبَل أصحاب الحق وسأورد ذلك المثال من القصة ذاتها للاستشهاد:

"وفي أحد الأيام بينما كان المحتلون يقتحمون بيت الخالة رشيدة.

غافلت زينب الجنديين اللذين يحاصران الناس أمام البيوت ومرقت أسرع من البرق ودخلت خلفهم فوجدتهم عند حظيرتها يمسكون بالدجاج، والدجاجات الفزعة بين أيديهم تصرخ وتستغيث.

صاحت زينب فيهم وقالت: أيها اللصوص اتركوا دجاجي"([٥]).

وهنا يظهر بوضوح دور القصة في الحث على الشجاعة والإقدام؛ لأنّ الجبن ليس من سمات أصحاب الحق.

٤- الحفاظ على العهد وكتمان السر وسأورد المثال التالي كما جاء في النص:

"في الصباح حملت زينب الدجاجات وصحبت شعاع الشمس وهي سعيدة.. تعجب شعاع الشمس وقال: أراك سعيدة اليوم على غير العادة. قالت زينب لشعاع الشمس: لأنني اليوم سأقوم بعمل كنت أشتاق كثيرًا للقيام به. ثم صمتت لحظة وخشيت أن يفهم شعاع الشمس شيئا من كلامها وقد وعدت السندباد أن يظل ما تفعله سرًا بينهما، وقالت: سأبيع الدجاجات وأربح مالًا وفيرًا، أحقق به ما أريد"([٦]).

الوفاء بالعهد من الصفات التي يتحلى بها المؤمن الحق. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُوْتُمِنَ خَانَ)([٧]).

وهذا دور آخر للقصة حيث إنّ الصغار يعون ما بداخلها من معان بسهولة ويسر، وهذا يجعلهم يصلون لمعاني الآيات الكريمة والآحاديث النبوية الشريفة إذا قرؤها أواستمعوا إليها.

٥- التضحية من أجل الوطن بأي شيء وفيما يلي توضيح من داخل النص على ذلك:

---

٥ - قصة دجاجات زينب، أحمد طوسون، مصدر سابق، ص ٦.

٦ - المصدر السابق نفسه، ص ١٢.

٧ - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة النفاق، دار طوق النجاة، ص ١٦.

"قال المقاوم الذي تظنه زينب السندباد: إنّ خالتها رشيدة حكت له ما فعله المحتلون حين رأتهم يسرقون دجاجاتها، لذلك فهو يعرف كم هي شجاعة، وطلب منها أن تساعده وتبيع الدجاجات إلى جنود الاحتلال في المعسكر القريب من قريتهم.

قالت زينب: لكنهم اعتادوا أن يسرقوا ما يريدون ولا يدفعون ثمنه.

ابتسم السندباد: وقال إنه يريد منها أن تعرف عدد المتواجدين بالمعسكر، وعدد حراسه، وإذا أرادت أن تستعيد وطنها فلابد أن تضحي وتقدم ما تستطيع لوطنها.

رحبت زينب بشدة حين علمت ما يريده السندباد"([٨]).

٦- مساعدة الصغار في التعبير عن فكرهم بانطلاق وسلامة كما جاء في الحوار الآتي بين زينب بطلة قصتنا ورجل المقاومة:

"لكنني ما زلت لا أصدقك.. إذا كنت حقًا السندباد فلتساعدني لنطرد الأعداء الأشرار من أرضنا.

ابتسم جندي المقاومة وقال بثقة: أعدك بذلك ولكن لابد أن تساعديني.

قالت زينب: وكيف أساعدك وأنا صغيرة وضعيفة ولا أملك سلاحًا؟ إذا وثقت بنفسك وقدراتك وكنت صاحبة حق ستفعلين أي شيء من أجل قضيتك وستصبحين الأقوى حتمًا"([٩]).

وهنا يوضح الكاتب للقارئ أنّ الإفصاح عما يدور في الذهن أفضل بكثير من الصمت والكتمان.

٧- تنمية الجانب الثقافي والمعرفي بالبحث والتنقيب عن المعلومات لدى الصغار كما جاء في المثال التالي:" تصنَّع أحد الجنود إنه يرتجف من الخوف وقال: حقًا ..إنّ العرب يقولون إنّ الحق أقوى من القوة، لذلك أنا أموت رعبًا"([١٠]).

هذه الجملة تحمل في طياتها الكثير حيث إنها تدعو الصغار للبحث في التراث العربي عن أقوال العرب التي خلدها التاريخ.

---

٨ - قصة دجاجات زينب، أحمد طوسون، مصدر سابق، ص- ص ١١- ١٢.
٩ - قصة دجاجات زينب، أحمد طوسون، مصدر سابق، ص ١١.
١٠ - المصدر السابق نفسه، ص ٧.

ثم جاء الكاتب بالنهاية التي ستؤدي إلى الاقتناع التام من جانب الصغار بفكرة القصة وبالعمل بها، وذلك المثال الذي سأورده من نص القصة يبرهن على ذلك:

مع خيوط الفجر الفضية استيقظت زينب على دوي انفجارات عنيفة، فتحت نافذتها ورأت ألسنة النار تخرج من معسكر الأعداء، احتضنت زينب خالتها وكبَّرتا معًا: الله أكبر.. الله أكبر وعرفت زينب كم كان ثمن الدجاجات التي أخذها المحتلون غاليًا"([11]).

بهذه النهاية التي أنهى بها أديبنا قصته يتعلم الأطفال قيمة عملهم إن كان جادًا ويعلمون أنهم ذوو أهمية بالنسبة للوطن كما أنهم يعرفون قيمة الوطن ومعناه.

لقد تناولت هذه القصة فكرة رئيسية واحدة، وهي محاربة الأعداء والمحتلين والدفاع عن الوطن مهما كان الثمن، وبهذا الشكل تندرج تحت القصص التي تقدم في قالب يهتم بالجانب البطولي، كما أنها أشارت إلى أنّ الصغار يكون لديهم وعي تام بما يحدث حولهم، فبعض الكبار يتوقعون أنّ الأطفال لا ينتبهون لما يدور حولهم وهم مخطئون في ذلك الظن؛ لأنّ الصغار ينتبهون لكل شيء وأحيانا يكون لديهم طرق وقدرة على المساعدة في حل المشكلات التي تمر بها حياتهم، فهم يحتاجون إلى فرصة وتشجيع من الكبار لكي يتفاعلوا معهم في التصدي لأي مشكلة. وفي رأيي أنّ الكتاب له دور مهم في تنمية شجاعة الأطفال وقدرتهم؛ لأنّ الكتاب صديق مخلص ويبدو أنّ أديبنا لديه قناعة تامة بهذا الرأي؛ لأنه كان حريصا في قصصه على تنمية الإدراك والوعي عند قرّائه الصغار، وقصة دجاجات زينب التي بين أيدينا الآن دليل واضح على ذلك، فهي مرجع له تأثير رائع على البراعم الصغيرة في الاحساس بأهمية الوطن والدفاع عنه والحفاظ عليه في أي وقت نشعر بأي خطر يهدده.

وعلى الرغم من عدم وجود أي قصة في أعمال أحمد طوسون تنفرد بالحديث عن قضية الوطن بهذا الشكل كقصة دجاجات زينب إلا أنّ هذه القصة تعالج بشكل كبير قضية أهمية الوطن والوقوف في وجه أي خطر يهدده.

١١- المصدر السابق نفسه، ص- ص ١٥- ١٦.

خاتمة البحث

أهم النتائج والتوصيات:

أشار أحمد طوسون في حكايته لما ينتاب الطفل في الوطن المحتل من شعور بالمسؤلية تجاه هذا الوطن؛ كي يعرف الكبار والصغار أنّ الطفل يعي ما حوله، ويسهم في إجاد حلول له إذا تطلب منه الأمر ذلك.

علينا دائما الانتباه للأطفال، وما يدور بأذهانهم وإرشادهم، وعدم الحكم عليهم بأنهم لا يدركون ما حولهم.

مصادر البحث:

أ- القرآن الكريم والسنة النبوية

١- القرآن الكريم:

* سورة (التوبة).

٢- السنة النبوية:

* صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع.

* صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة النفاق، دار طوق النجاة.

ب- المصادر الأخرى:

* دجاجات زينب، أحمد طوسون، دار شريف للنشر والتوزيع، ط١، أكتوبر٢٠٠٧م.